الفصـــل الخامـــس:

بلاغة الصورة السردية الموسعة في القصة القصيرة بالمملكة العربية السعودية

إذا كان لجنس الشعر صوره البلاغية التي تتمثل في التشبيه، والاستعارة، والمجاز بنوعيه: العقلي والمرسل، بالإضافة إلى الكناية والرمز والأسطورة. أو بتعبير آخر، تتضمن القصيدة الشعرية - بلاغيا - ثلاثة أنواع من الصور: صورة المشابهة (التشبيه-الاستعارة)، وصورة المجاورة (المجاز المرسل -الكناية)، وصورة الرؤيا (الرمز والأسطورة)، فإن الخطابات السردية بما فيها الرواية ، والقصة القصيرة، والقصة القصيرة جدا، والقصة الشذرية، لها صورها البلاغية الخاصة بها التي تستمدها من خصوصيات كتابتها حكيا وخطابا وتشكيلا وتجنيسا. ويعني هذا أن الدراسات النقدية التي تعنى بمقاربة الصورة البلاغية قد بدأت في توسيع مفهوم الصورة الفنية والجمالية، لتشمل مقومات الكتابة السردية وآلياتها على مستوى التحبيك والتخطيب والتقصيد. وللتوضيح أكثر، فقد صرنا نتحدث - اليوم- عن مجموعة من الصور السردية، كصورة الفضاء، وصورة الشخصية، وصورة اللغة، وصورة الامتداد، وصورة الإيقاع، وهلم جرا... وقد آن الأوان لإدخال بلاغة السرد ضمن مقرراتنا التعليمية والجامعية ، وتدريسها في ضوء المناهج النقدية المستجدة، مستعينين في ذلك بالمعارف العلمية الحديثة والمعاصرة، مثل: اللسانيات، والتداوليات، ولسانيات النص، والسيميوطيقا، والشعرية البنيوية، والفلسفة، والمنطق الحجاجي...

ومن ثم، فقد ارتأينا أن نخصص القصة القصيرة بالمملكة العربية السعودية بهذه الدراسة النقدية التصنيفية، بغية رصد بلاغة الصورة السردية قراءة، وتحليلا، وتقويما، وتصنيفا، وتوجيها.

◇أشكـــال الصـــور البلاغيـــة:

تتضمن القصة القصيرة ، في المملكة العربية السعودية، مجموعة من الصور السردية التي ترتبط بخصوصية هذا الجنس الأدبي حكيا وخطابا ومقصدية. وينبغي أن نعلم بأن مفهوم الصورة السردية، في هذه الدراسة النقدية، أكثر اتساعا ورحابة من مفهوم الصورة الشعرية الضيق. ويعني هذا أن كثيرا من سمات القصة ومكوناتها الفنية والجمالية والتشكيلية

تتحول إلى صور سردية بالمفهوم الذهني الموسع للصورة . ونذكر من بين هذه الصور السردية الأشكال التالية:

✦ صـــورة النقيضـــة:

تعتمد صورة النقيضة أو صورة الطباق على إيراد لفظتين متطابقتين أو متعاكستين أو متناقضتين إيجابا وسلبا. وقد أدرج البلاغيون العرب القدامى الطباق ضمن المحسنات البديعية، لكنه – في الحقيقة- صورة فنية جمالية دلالية وحجاجية، تقوم على التطابق الذهني والفكري والجمالي. بمعنى أن الطباق صورة فكرية وذهنية قائمة على منطق الحجاج والاستدلال والبرهنة. وتحضر هذه الصورة في قصة(**احتفاء على تخوم الحشرجة**) للكاتب السعودي **طاهر الزارعي**، حينما يشير إلى مربي الحمام داخل السوق الأسبوعي، وهم يقارنون بين الحمامات الجميلة ذات القيمة الكبيرة بحمامات منافسيهم التي يصفونها بشتى العيوب والعاهات والنقائص، محاولين إقناع زبائن السوق بجودة بضاعتهم، مع ذكر رداءة بضاعة منافسيهم" كنت أطعمها جيدا، وأبلل ريشها بالماء، بل أحرص جيدا على تنظيف منقارها، وأختار منها الأجود كالحمام الحساوي والقلابي حتى أتمكن من بيعها بثمن جيد في سوق الخميس الذي يمثل لي خروجا عن روتين القرية الممل حينما انطلق إليه صباحا، حتى إذا ما وصلت هناك فسأجد المنافسة الكبيرة مع نخبة من مربيي الحمام يمتلئ بهم السوق كل واحد منهم يزعق بصوته المألوف: الزوين عندنا والشين حولنا."[٧٨]

تؤشر صورة الطباق (**الزين عندنا والشين حولنا**) على تناقض المواقف، واختلاف وجهات النظر، وصراع القيم التي تتحكم فيها المصالح والمنافع والأهواء على حساب الحقيقة والمصداقية واليقين، واختلاف معيار التقويم من شخص إلى آخر إيجابا وسلبا. علاوة على سلبية صورة الآخر أو الغير في منظور الأنا في عالم القيم المادية والكمية والتبادلية .

---

[٧٨]- طاهر الزارعي: **زبد وثمة أقفال معلقة**، فراديس للنشر والتوزيع، البحرين، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م، ص:١١.

✦ صـــورة التشبيـــه:

تستعمل صورة التشبيه بكثرة في السرد القصصي السعودي، باعتبارها الصورة الأكثر انتشارا في الشعر العربي إلى جانب صورة الاستعارة وصورة التشخيص. ويعني هذا أن السرد القصصي السعودي مازال يتكئ على التصوير البلاغي الشعري في ما يخص توظيف بلاغة المشابهة. ومن أمثلة ذلك صورة التشبيه لدى **الطاهر الزارعي** ، فهي تتأرجح بين أداة الكاف وأداة مثل:" نهضت من سفرة الطعام كالمفزوع، تتخبط قدماي بثوبي، صعدت بخفة غزال متجها نحو السطح، رأيت حماماتي تتطاير في القفص الكبير والخوف يحتضن أعينها.تلك القطط الشاردة طالما تتلذذ بحمامة أو حمامتين كل أسبوع فقد كانت ترتكب خطيئة كبيرة بحق هذه الحمامات !"[٧٩]

ترصد صورة التشبيه في هذا المقطع السردي حالة خوف السارد على حماماته الوديعة فوق السطح، وتصور أيضا مدى استعداده الكامل للدفاع عنها، حينما يحدق بها خطر القطط. ومن ثم، فقد كان دفاع السارد هو الردع والطرد ليس إلا"أمي تقول لي: انتبه لا تموت القطط راح تسكن في نارها.هذا التحذير جعلني خائفا جدا، وحينما أجد القطط تعتلي السطح لشن هجوم مباغت على الحمام أكتفي بردعها وطردها."[٨٠]

وهكذا، تحضر صورة الخوف، من خلال تجليات صورة التشبيه، لتبين لنا مدى إحساس الشخصية الرئيسية بحماماته الوديعة التي كان يهتم بها فوق سطح المنزل اهتماما عاطفيا كبيرا، تدل على رحابة إنسانيته الأخلاقية، وتؤشر أيضا على مروءته العملية والسلوكية.

✦ الصـــورة الميتيـــة:

تنبني الصورة الميتية أو الميثولوجية على التخريف والأسطرة والتخييل المجنح في التجريد والطقوسية. ومن ثم، تكشف كثير من القصص القصيرة في المملكة العربية السعودية ، من خلال صورها الميتية الفكرية

---

[٧٩]- طاهر الزارعي: **زبد وثمة أقفال معلقة**، ص:١١.

[٨٠]- طاهر الزارعي: نفسه، ص:١١.

والتخييلية والعملية، طبيعة الذهن الإنساني العربي في التعامل مع الواقع الموضوعي، وتكشف طريقة تفسير الأمور وتحليلها ومعالجتها. لذا، يتداخل اللاهوت مع الميثولوجيا والأسطورة والخرافة في التعامل مع الظواهر الحياتية لدى الإنسان السعودي، خاصة البدوي منه. وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى تشبث الإنسان بالتفكير الخرافي في التفاعل مع كثير من أمور الحياة، خاصة فيما يتعلق بمداواة الأمراض، كما يتبين ذلك جليا في هذه الصورة الخرافية" بعد أيام تأتي إلى أمي تبشرني بأن إحدى معارفها قد طلبت منها شراء حمامتين لتذبحهما على ابنتها التي تشتكي من آلام رأسها المتواصل، وكنت أرضخ لهذا الطلب بصعوبة بالغة فمظهر الدم يثير خوفي واشمئزازي فكيف إذا كان يسيل من حماماتي التي أرهقت نفسي في تربيتها، لكن يبقى هذا قدرها اللعين، قدرها القادم نحو الموت والفناء.[٨١]"

هكذا، يصبح طقس التضحية وإسالة الدم من الظواهر الأنتروبولوجية التي تعود عليها الإنسان منذ القديم في التعامل مع ظواهر الطبيعة، ومواجهة الكوارث والأمراض والأوبئة. والآتي، أن هذه الطقوس أصبحت ظواهر اجتماعية وإنسانية وثقافية، تعبر عن مرحلة الأسطورة من جهة، ومرحلة اللاهوت من جهة أخرى، لينتقل الإنسان - بعد ذلك- إلى مرحلة الوضعية القائمة على العلم والعقل والتجربة.

✦ صـــورة الاستعـــارة:

تستعين القصة القصيرة السعودية بصورة الاستعارة مثل القصيدة الشعرية؛ نظرا لكون الاستعارة من أقدم الصور البلاغية التي عرفها الإنسان ، فقد ارتبطت هذه الصورة بالأسطورة والنزعة الإحيائية في تجسيد الطبيعة أنسنة وإحياء وتشخيصا. ومن ثم، تتخطى صورة الاستعارة عوالم الحقيقة الكائنة إلى عوالم مجازية خيالية وافتراضية قائمة على المشابهة، والتقاط ترسبات الذاكرة واللاشعور والتناص الأنتروبولوجي. وقلما نجد كاتبا قصصيا لا يشغل صورة الاستعارة ذات البعد الانزياحي والتضميني، كما يظهر لنا ذلك واضحا في هذه الصور

---

[٨١]- طاهر الزارعي: نفسه، ص:١١-١٢.

الاستعارية الموحية" القرية هذا اليوم تنقش الفرح على كل شبر فيها، على ترابها وجدرانها ونخيلها، وتسيل من فمي ضحكات كثيرة كنت افتقدها منذ مدة، وعريس القرية صديق لي سأكافئه كما كافأت كل العرسان من قبله، سأهدي له خمس حمامات وثلاثة أكياس صغيرة من الشعير، وسأحرص كعادتي على أن أفرج عن كل حماماتي في صباح زواجه، وأطيرها لتحتفل في السماء حتى إذا ما قرب المساء أفتح لها قفصها الكبير لتدخل مطمئنة تلملم ما تبقى من حريتها.[٨٢]"

يبدو أن هذا المقطع السردي يعج بالصور المجازية ، ولاسيما الصور الاستعارية منها، مثل: تسيل من فمي ضحكات- لتحتفل في السماء – تلملم ما تبقى من حريتها. وتقوم كل هذه الصور على خاصية التشخيص والحركة والنزعة الإحيائية الإنسانية. بمعنى أن الطبيعة بكل تجلياتها تشارك عريس القرية فرحته وسعادته العارمة.

✦ الصـــورة الشبقيـــة:

تحمل بعض المقاطع السردية في القصة السعودية صورا شبقية تتأرجح بين الإثارة والشهوة والإيحاء بالعوالم الجنسية تخييلا وممارسة، كما يظهر ذلك جليا في هذا المقطع السردي الذي يغص بالصور الإيروسية والشبقية التي توحي باشتداد غريزة الرغبة، سواء أكان ذلك في عالم الذكورة أم في عالم الأنوثة" كلما أنظر إلى وجه أمي اختلس منها دمعة هاربة من عينيها، كانت أمي تحرص على أن أكون تاجرا كبيرا في سوق الحمام حتى أمحو تلك الصورة التي لازمت أبي الرقاص حيث اشتهر بهذا اللقب بعدما كان يؤدي دور الرقص في زواجات القرية أثناء تأدية العرضة، ويكسب من ذلك رزقه.. لكن هذه التسمية لازمته وأوقعتني في حرج دائم.

كان أبي ماهرا جدا في أداء الرقصة مع طبول العرضة التي تسخن على نار هادئة، رأيته بنفسي، كان يربط عجيزته الممتلئة بالشماغ المتهالك ويتمايل بها، وأحيانا يهزها هزا كبيرا حتى إن الناظر إليها يخمن بأن تيارا كهربائيا التمس بتلك العجيزة ونفضها.وبقدر جمال الرقص ومدته يحصل

---

[٨٢]- طاهر الزارعي: نفسه، ص:١٢.

على رزقه من فئة الريالات والعشرات التي غالبا ما يتم وضعها في فمه أو تتناثر عليه من فوق.
أصعد إلى سطح البيت مع بداية كل يوم، وأقف هناك مثل فزاعة لا أتحرك، أتذكر أبي وأجهش ببكاء يهتك هدوء الصباح، وحينما أصحو من هذه النوبة- نوبة البكاء-أتأمل ذكور الحمام وهي تلاحق إناثها حينما تقوم بمزاحمتها وتنظيفها من بقايا ريش متسخ، وتشرع بعد ذلك تسفدها بهيجان كبير.
- تبيني أخليك قحبة ! هذه العبارة لازلت أتذكرها جيدا قالها أبي لأمي في حالة غضب عندما طلبت أمي منه أن يترك الرقص في الأعراس، ويبحث عن رزق آخر، لكن أبي أصر على أن يواصل مسيرته في الرقص.كنت أسمعه دائما يقول لها: الرقص يقوي العقل ويجيب الفلوس."[٨٣]
يتضمن هذا المقطع السردي مجموعة من الصور الشبقية التي تتضح بلاغتها الجنسية من خلال هذه الملفوظات السردية التالية: الرقص- يهزها هزا- يربط عجيزته- يهتك- ذكور الحمام تلاحق إناثها- هيجان كبير- قحبة...

✦ الصـــورة التناصيـــة:

تعتمد الصورة التناصية على الإحالة المرجعية، والمعرفة الخلفية، واستدعاء الذاكرة الواعية وغير الواعية ، في شكل ترسبات ثقافية ومعرفية ، من أجل تطعيم النص السردي تعضيدا وإسنادا وتقوية له، كما يبدو ذلك جليا في هذه الصورة التناصية التي تسترجع قصة نوح عليه السلام عند الكاتب السعودي **فهد الخليوي** في مجموعته القصصية (**مساء مختلف**)، وقد استحضر المؤلف السارد هذه الصورة التناصية للتأشير على طول الزمن الذي عاشه نوح، وتتمنى الشخصية الرئيسية المتقاعدة لو أوتيت عمرا طويلا مثل هذا النبي المعمر" مضت الأشهر المتبقية بسرعة الثواني، وخرج من بوابة الإدارة وهو يحمل حقيبة صغيرة،وضع بداخلها أوراقه الخاصة وورقة تحولت كسهم جارح نفذ لمشاعره بقوة، إنها مذكرة طي قيده..يالها من ورقة مؤثرة قلبت موازين كيانه، وفتحت

---

[٨٣]- طاهر الزارعي: نفسه، ص:١٢-١٣.

صفحة جديدة موجعة لما بقي من عمر قصير سيتلاشى بعد سنوات قليلة، تذكر قصة نوح الذي عاش ألف عام، قرأ هذه القصة مرارا في كتب الأولين وبمختلف الروايات التي روى بعضها أن نوحا عاش ألفا وسبعين عاما، حاصره سؤال صعب:
- لماذا لاتطول أعمار البشر أسوة بعمر نوح، طالما هناك قوة خفية تستطيع فعل ذلك؟
تواردت في خاطره كثير من الأسئلة الصعبة كهذا السؤال الذي لن يجد له إجابة مقنعة في ظل الثوابت السائدة التي درج معظم البشر على الإيمان بها منذ آلاف السنين.[٨٤]"
وهكذا، تحيل هذه الصورة التناصية على إشكالية الزمن في تفاصيلها الميتافيزيقية والإنسانية، كما ترصد لنا رغبة الشخصية القصصية في أن يطول عمرها مثل نوح عليه السلام، لتبعد عنها مؤقتا شبح الموت التراجيدي الذي يهدد مصير كل إنسان، ويهزم كل اللذات الدنيوية.

✦ صـــورة الاستبطـــان:

نعني بصورة الاستبطان تلك الصورة الوجدانية القائمة على الانفعالات والمشاعر الداخلية المستبطنة في أعماق الذات الشعورية واللاشعورية. وتعبر عن الحالة النفسية التي تكون عليها الشخصية داخل المتن الحكائي، كما في هذه الصورة السردية المعبرة عن حالة الموظف المتقاعد الذي يعاني من الإحباط واليأس والانهيار النفسي"أخذ يتصنع الابتسامة على محياه أمام زملائه أثناء حفلة التوديع، تظاهر وكأنه في غاية السعادة والابتهاج، لكن مشاعر الحزن والاكتئاب ظلت تغلي من داخله !
هاهو يدخل مرغما إلى عالم المتقاعدين ...إنه عالم يشبه القبر المفتوح، حيث يصبح المرء وهو بداخله وكأنه أقرب للموت من الحياة، عالم يصبح فيه العد تنازليا نحو النهاية الأليمة."[٨٥]

---

[٨٤]- فهد الخليوي: **مساء مختلف**، النادي الأدبي بالرياض، السعودية، الطبعة الأولى سنة ٢٠١١م، ص:٦٠.
[٨٥]- فهد الخليوي: نفسه ، ص:٦٠-٦١.

تعكس هذه الصور السردية الاستبطانية مجموعة من الأحاسيس والمشاعر والانفعالات الداخلية التي يستضمرها البطل الإشكالي الذي يتعرض للموت البطيء؛ من جراء تسريحه من عمله اليومي، وإبعاده عن نشاطه الدؤوب توديعا وإعلانا لنهايته المؤلمة.

✦ الصــورة الوصفيــة:

تقوم الصورة الوصفية على تشغيل الموصوفات النعتية والحالية والصور المجازية لتتبع الموصوف خارجيا أو داخليا، وتتعدى الصورة الوصفية طابعها التزييني أو التقبيحي إلى طابعها الدلالي والوظيفي والحجاجي، كما في هذه الصورة الوصفية الاستهلالية التي ترصد لنا شخصية " أبو مستور"، في مجمل ملامحها المظهرية والنفسية والأخلاقية والاجتماعية:"أراه يوميا جالسا في الشارع المؤدي إلى منزلي، يفترش سجادة عتيقة مسندا ظهره على جدار منزله الشعبي الصغير، يحتسي قهوته وحيدا معظم الوقت، مكتفيا بالتحديق في وجوه العابرين، ومكررا جملته الترحيبية المعتادة لكل عابر يلقي عليه السلام:

- حياك الله اتقهوى !

ذات يوم استجبت لدعوته استضافني بحفاوة بالغة وكأنه يعرفني منذ زمن طويل، تناول دلته الصفراء اللامعة، وسكب لي من فوهتها النحيلة المنسابة فنجانا من قهوته الساخنة التي أعدها بمزاج رائق وإتقان محكم."[٨٦]

تنضح هذه الصورة بأوصاف إنسانية حية، وتزخر بنبضات اللقطة السينمائية المتحركة. بمعنى أن هذه الصورة الوصفية لقطة سينمائية تتكئ على الحركة المعبرة ، وتحمل، في طياتها، دلالات نفسية وأخلاقية واجتماعية وإنسانية متميزة.

---

[٨٦]- فهد الخليوي: نفسه، ص:٦٥.

✦ الصـــورة الميتاسردية:

تستند الصورة الميتاسردية إلى فضح لعبة القص، وتبيان آلياتها السردية متنا وخطابا ورؤية، وتكسير الإيهام الواقعي عن طريق خلق حكايات تخييلية، كما يظهر ذلك بينا في هذه الصورة السردية الميتاسردية التي تتداخل مع أحداث القصة ضمن ما يسمى بالقصة داخل القصة" يعتصر أبو مستور ذاكرته بالكثير من الحكايات التي يستمتع بسردها أمام ضيفه، حيث تنبسط أسارير وجهه وتظل أقل انكماشا عندما يحكي.
تتغير تجاعيد وجهه بحسب أحداث القصة التي يرويها، فتجد علامات الحزن هي الطاغية على محياه وهو يحكي بألم عن عقمه المستعصي على العلاج.وكيف صرف الكثير مما يملك للأطباء والسحرة والمشعوذين على أمل أن ينجب طفلا يطلق عليه اسم مستور تخليدا لذكرى أبيه، وما تكبده من حزن ومرارة جراء هروب زوجته إلى بيت أبيها عندما فقدت أمل الإنجاب منه وتركته يعاني من وحشة الوحدة وعذابات الفراق..تنهد بأسى قائلا:
-أحبها..لا يزال عطرها ينبعث في زوايا المكان، وملامحها لا تبرح مخيلتي، لم أتوقع أن فاطمة ستعاملني بهذه القسوة.
ينتقل أبو مستور من حكاية إلى حكاية، ولا يعطيك فرصة لمقاطعته، بل يفرض عليك أن تظل منصتا وتستمع إليه، تشعر أن الحكي يبدد همومه المتراكمة، وكأن الصمت يؤلم قلبه ويزيد من كآبة وحدته، تتنوع حكايات أبو مستور في مضامينها وأحداثها، تارة يحكي قصة من عمق تفاصيل حياته، وتارة أخرى يحكي قصصا عاصرها وعايشها، يرويها كشاهد على عصر مضى."[٨٧]
يلتجئ المؤلف السارد، في هذا المقطع السردي، إلى تشغيل الصور الميتاسردية التي تكسر نظرية الإيهام بالواقعية عبر ممارسة التخييل، وفضح طقوس الكتابة التي هي في الحقيقة حكاية متخيلة ليس إلا ، يراد منها التعبير عن الذات، أو رصد الواقع الموضوعي بفنيات جمالية وتخييلية متنوعة.

---

[٨٧]- فهد الخليوي: نفسه، ص:٦٥-٦٦.

✦الصـــورة الفانطاستيكية:

تشغل القصة القصيرة السعودية، ضمن محكياتها السردية، الصورة الفانطاستيكية القائمة على التغريب من جهة، والتعجيب من جهة أخرى.كما تنبني هذه الصورة على مجموعة من التحولات الخارقة للانتقال من عالم العقل والألفة والمنطق والحقيقة إلى عالم الغرابة والافتراض والتخييل، بغية التدليل على رفض العالم السفلي بكل قيوده المشروطة، مع الهروب نحو عوالم افتراضية خارقة، قوامها الاستمتاع بالحرية، والأخذ بمنطق الإباحة، وتحقيق الرغبات الدفينة والمكبوتة على مستوى اللاشعور النفسي أو الحلمي، كما يظهر ذلك واضحا في قصة (**بدر**) المأخوذة من مجموعة (**عبق النافذة**) للكاتب السعودي **محمد البشير**" البدر في هذه الجزيرة (التايلاندية)أكبر.الكل يرقص لاكتمال القمر. والعرق ينز من الأجساد المرمرية ليصدر رائحة توسطت ما بين العطور الباريسية والكحول الروسية. ويكسبها ألوانا قزحية بفعل ضوء القمر.رقصت بطاقة عجيبة تساوي جهد عمري المنصرم.وكلما ظمئت زدت طين جسدي من بلل(البيرة) وزدت شعلة سيجارتي علامة كرمي الحاتمي.

قبل طلوع الفجر فعلت بي الكأس فعلتها.حلقت في الفضاء وانعدمت الجاذبية؛ فخر القمر تحت قدمي، وفرت الأرض حسناء مذعورة لتستلقي بين ذراعي.وعلم بلادي يرفرف في السماء.قرأت اسمي على ظهر أحد الفتيات ضمن رواد الفضاء.

استيقظت على صوت هاتفي:

- كيف حالك ياولدي؟"[٨٨]

تعبر هذه الصورة الفانطاستيكية على سفر مخيالي خارق، يتجاوز فضاء البسيطة بكل معالمه السفلية الدنيئة نحو عوالم فضائية عجيبة محيرة، لتحقيق كل الرغبات الممنوعة على مستوى الهو أو اللاشعور النفسي،

---

[٨٨]- محمد البشير: **عبق النافذة**، دار الكفاح للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٨هـ، ص:٣٥-٣٦.

وإن كان هذا السفر المخيالي في الحقيقة لم يكن إلا حلما لذيذا أو تخيلا بشريا ناتجا عن مفعول السكر والهذيان السريالي.

✦ صــورة المتخيــل:

تتضمن بعض القصص القصيرة متخيلات دلالية وموضوعاتية متنوعة، تتخلل ذاكرة الشخصيات القصصية بشكل من الأشكال، كمتخيل الباب الذي يشكل بؤرة دلالية وفضائية عند **فهد المصبح** في قصته(**الباب في مهمة خاصة**)" الكل في المدرسة يدرك مدى ذكائها، على الرغم من حداثة سنها، طفلة في العاشرة، وهبها الله النبوغ وقراءة الأفكار، ولكنهم لا يتوقعونها بهذا الفقر المدقع، فسجاياها غطت كل بؤس طبع أسرتها ، تود لو يحس أحد بحالها دون أن تفصح، فطلبات الدراسة أرهقت والدها الذي لا يتوانى عن توفيرها مضحيا لكل ما يملك.
تمتلك الكثير من الأجوبة، لكنها اليوم تسأل أباها بإلحاح عن باب بيته، فيخبرها أنه عند النجار ليصلحه، وتنتظر..ولا يأتي الباب، ماجعل أباها يعمد إلى سد الفتحة بأعواد ولحاف سميك.
لعوز مفاجئ، باع أبوها الباب دون أن يخبر أسرته بذلك.فأحدث ذلك فراغا في مخيلتها، فصارت يوميا- وقبل ذهابها إلى المدرسة- تتوقف عند مدخل بيتهم لترى آثاره وتتخيل شكله، فكتبت عنه سطورا ضمنتها خلجات عشق غريب، يشرح مكانة الباب في حياة سكان الدار..."[٨٩]
وهكذا، يصبح الباب متخيلا شاعريا وصورة فضائية تؤثر بطريقة من الطرائق على الشخصية المحورية داخل القصة؛ لأن الباب جزء لا يتجزأ من هذه الشخصية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها؛ نظرا لامتدادات صورة هذا المتخيل في ذاكرة الشخصية حدثا وزمانا ومكانا.

---

[٨٩]- فهد المصبح: (الباب في مهمة خاصة)، **مجلة الجوبة**، السعودية، العدد: ٢٣، ربيع١٤٣٠هـ الموافق لسنة ٢٠٠٩م، ص:٤٦.

✦ الصـــورة الشعريـــة:

تتحول المقاطع السردية، في بعض القصص القصيرة السعودية، إلى محكيات شاعرية، تختلط فيها الوظيفة الشعرية بالوظيفة السردية.بمعنى أن القصة يتقاطع فيها السرد مع الشعر، فتتحول صور الملفوظات السردية إلى صور شاعرية موحية، تعبق بالاستعارات والمجاز والانزياح والتكرار والتوازي ، وتتدفق بنبضات الإيقاع الدلالي واللفظي والصوتي، كما يبدو ذلك جليا في هذه الصور الشاعرية لدى الكاتب السعودي **خالد المرضي الغامدي**، وخاصة في قصته(**كرات ثلجية**) المأخوذة من مجموعته القصصية(**ضيف العتمة**)"حليمة تناغي عرائسها، تصفق، ترقص العرائس...تجردها...تلبسها، شعورهن تنظمه جدائل...، حليمة والعرائس والأفق سواد... شياه حليمة تجتر العشب...تنحدر، هناك يجري الماء زجاجيا صافيا، تغمس أفواهها...الشياه...تبتلع العشب..تبتلعه هنيئا، تتعطر برائحة الحبق... وحليمة تراقصها... العرائس، ملونات...فاتنات، في ملتقى السماء بالأرض أشجار العرعر كثيفة مسودة، سحب متغضنة.. جبالا من برد، أيضا في ملتقى السماء بالأرض ظلمات ورعد وبرق... سياط من لهب... متعرجة... متربصة، ضوء يخطف وجه حليمة...يخطف العرائس."[٩٠]

تتميز هذه الصور بطابعها الشاعري الرومانسي الذي يختلط بالسرد القصصي، وإن كانت الشاعرية هي الطاغية على صياغة هذه القصة بحقولها الدلالية التي تنتمي إلى عوالم ذاتية سحرية، مصنوعة بالمجاز والتكرار والتجريد الشاعري.

✦ صـــورة التـــدرج:

نعني بصورة التدرج تصاعد الملفوظات عدديا وكميا إما بشكل تزايدي وإما بشكل تناقصي. وتعبر هذه الصورة عن الرؤية الكمية للأشياء في

---

[٩٠]- خالد المرضي الغامدي: **ضيف العتمة**، النادي الأدبي بالباحة، السعودية، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م، ص:١٠٠.

علاقتها بالشخصيات والأحداث، كما يبدو ذلك واضحا في قصة (**حل الخريف**) للكاتب السعودي **جمعان الكرت"** همست في أذن شقيقها الأصغر الذي يتلصص من خلف الباب لرؤية خالد بهذه البدلة الأنيقة..قالت استمع إلى حديث خالد..قفز وليد وكان يتوارى خجلا..تقدم..خطوة..خطوتين..جلس في مكان غير بعيد..وبدأ يتفرس خالدا الذي راح يتحدث بكل ثقة عن الدراسة في الخارج، والصعوبات التي واجهته في بادئ الأمر..فيما راح والده سفر وعمه فاضل والد أمل..وإخوانه ينصتون للحديث، سفر يشعر من ثنايا حديث خالد..بأن هناك أخبارا غير سارة سوف يفصح عنها."[٩١]

تعبر صورة:" **خطوة... خطوتين**" عن التدرج العددي الذي يعكس تقدم وليد المدفوع من قبل أمل لرصد أخبار العائلة القريبة، وتبيان أحاديثها المتشعبة ، ولاسيما في ما يتعلق بزواج خالد بأمل التي انتظرته طويلا حتى يستكمل عشيقها دراسته في الخارج، ليعقد عليها – بعد ذلك- القران الشرعي؛ نظرا للحب الجميل الذي كان يجمعهما معا قبل ذلك. بيد أن خالد عاد بزوجة أجنبية شقراء ليست من طينته، ولا هو من طينتها؛ مما أثار حفيظة أمل، وهيج غضبها الداخلي والانفعالي.

✦ الصـــورة الشـــذرة:

نعني بالصورة الشذرة أو الصورة الومضة تلك القبسات القصصية المختصرة بدقة، وهي تجمع في طياتها عصارة الحياة بدقة وإحكام وإتقان، وتستند إلى بلاغة الإضمار والتكثيف والاختزال والإيحاء والانزياح، كما نلاحظ ذلك جليا في قصة(**ومضات..!!**) للكاتب السعودي **سعيد بن عبد الله الدوسري**:

-١-

" لم أصدق والدي حين قال لي: وحدها..قطرة المطر فوق وادي العقيق تطفئ لظى ظمئك..ظننته يهذي..فلم أصدقه..ولازلت ظامئا.."

-٢-

---

[٩١]- جمعان الكرت: (حل الخريف)، **مجلة الجوبة**، السعودية،العدد:١٧، صيف٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ، ص:٣٥.

" آه..كم كنت أحب أمي..ورائحة " شيلة" أمي..وحدها أمي كانت تعرف ذلك..والآن..لم يبق لي سوى شيلة أمي..ورائحة أمي.."

-٣-

" في نهار وداعها الأخير..أذكر أنها قالت لي: سعيد..أنا من اختار لك هذا الاسم ياولدي..فلا تبك..لاتجعلني أبدو كاذبة أمام الله..
ابتسمت..فابتسمت !"

-٤-

" في نهار وداعها الأخير..أذكر أنها قالت لي: أرجوك..لاتبك..فالله لايأخذ على جواره إلا الطيبين..
أقسمت لها بكل مقدس..أن أصبح ولدا..طيبا..بكت!"[٩٢]

وتأسيسا على ما سبق، تكثر الصور الشذرية أو الصور الومضية ضمن جنس أدبي جديد يسمى بالقصة الشذرية ، تلك القصة التي تقوم على توالي المقاطع، وتكاثر الصور السردية تكثيفا وتركيزا وإضمارا وتجميعا وتواليا وتعاقبا. بمعنى أن الصورة الشذرة تقول الكثير والكثير، على الرغم من قصر حجمها، وتطرح أسئلة كبيرة في كلمات قليلة ومعدودة ومحدودة. ويعني هذا أن الصورة الومضة هي صورة موحية ومجازية وانزياحية، دالة سيميائيا من خلال ملفوظاتها المفتوحة، والمكومة تراكما واتساقا وانسجاما، على الرغم من انفصالها عن باقي الصور والمقاطع السردية الأخرى تناسلا وتوالدا وتعاقبا.

✦ صــورة التذويــت:

تحيل صورة التذويت على خطاب الذات بكل انفعالاتها الوجدانية، وتأملاتها الجوانية، ومشاعرها المستبطنة التي غالبا ما تختفي وراء ضمير المتكلم إفصاحا وإعلانا وبوحا وانسيابا، كما يتجلى ذلك واضحا عند القاصة السعودية **نورة عبد الله السفر**" في تلك الأيام..كانت قوة احتضاناته تجعلني أحس بأن قلبه، بحبه اللامتناهي يحتويني ويصادر أي حق بحب سواه.كنت أرى نفسي في عينيه الطفلة الجميلة المشعة

---

[٩٢]- سعيد بن عبد الله الدوسري: (ومضات..!!)، **مجلة الجوبة**، السعودية،العدد:١٧، صيف٢٠٠٧م/ ١٤٢٨هـ، ص:٣٦.

بالحياة.أما الآن..فأنا على العكس من ذلك تماما.فتاة لامبالية تكره الحياة؛ إنها تهبنا أجمل الأشياء..ثم تسلبها بطعنة في الظهر.."[٩٣]
ويلاحظ أن أغلب القصص النسائية تطغى عليها صورة التذويت، وتتحول المقاطع السردية إلى رسائل ذاتية مسترسلة، وإنشاءات عاطفية وانفعالية، بعيدة كل البعد عن مقومات القصة القصيرة، حيث تغيب الحبكة السردية، وآليات السرد تحبيكا وتخطيبا .وبالتالي، فهي مجرد خواطر شاعرية وكتابات إنشائية ذاتية ليس إلا. وينطبق هذا بشكل من الأشكال على قصص بعض الكاتبات السعوديات ، مثل: قصة (**ذبول وردة**) لليلى الحربي[٩٤]، وقصة(**قصتان**) لمريم محمد اللحيد[٩٥]، وقصة(**أكبر من الجرح**) لملاك الخالدي[٩٦]...

✦صـــورة التكـــرار:

تعتمد صورة التكرار على ترديد الحروف أو تكرير الكلمات أو إعادة الملفوظات والعبارات التركيبية نفسها، إما للتثبيت والتأكيد، وإما لخلق نوع من الإيقاع الهرموني داخل النسيج القصصي، وإما لتوفير التماسك النصي اتساقا وانسجاما، كما يبدو ذلك واضحا في قصة(**نمل الكلمات**) للقاص السعودي **ضيف فهد:**" أسمعها، أسمعها، تركض كسلسلة من النمل الأسود القوي، كمخلوقات هائلة لديها القدرة على المثابرة.
تتسلق أرجل السرير، وتنتشر على اللحاف، وتتجول باحثة عن أذني..

---

[٩٣]- نورة عبد الله السفر: (اجتياح)، **مجلة الجوبة**، السعودية، العدد:٣٤، شتاء ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ، ص:٧٤.
[٩٤]- ليلى الحربي: (ذبول وردة)،**مجلة الجوبة**، السعودية، العدد: ٣٣، السنة ٢٠١١م/١٤٣٢هـ، ص:٧٢.
[٩٥]- مريم محمد اللحيد: (قصتان)، **مجلة الجوبة**، السعودية، العدد: ٣٣، السنة ٢٠١١م/١٤٣٢هـ،ص:٧٥.
[٩٦]- ملاك الخالدي: (أكبر من الجرح)، **مجلة الجوبة**،السعودية، العدد:٢٩، السنة ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، ص:٧١.

ومع أني حاولت فعل كل شيء لأدلها على الطريق، إلا أنها تتوه في النهاية."[٩٧]

تعتمد هذه الصورة التكرارية على تكرار كلمة "أسمعها" مرتين، لتثبيت متخيل السمع، والتشديد على هذه الحاسة التي تذكرنا بقصة النبي سليمان عليه السلام تناصا وإيحاء واستدعاء.

✦الصـــورة الافتراضيـــة:

تنبني الصورة الافتراضية على آليات الشرط الحجاجي أو آليات التمني والرجاء والتوقع، كما يبدو ذلك جليا في قصة(**مغلق بإحكام**) **لناصر بن محمد العمري**، حيث يهتم بمتخيل الباب بطريقة فنية قائمة على الصراع الداخلي والموضوعي، من خلال ممارسة منطق الافتراض التصوري والمنطقي والحجاجي، مع التلذذ بمراقبة الغير أو الآخر" يحمل بين يديه معولا قديما مهترئا، يحاول به فك الباب المغلق، حاول به حتى خارت قواه.يجلس على الأرض.يسند ظهره إلى الباب المغلق، يغرق في نوبة من جنون.يحدث نفسه بصوت مسموع:

أوشك أن اغتنم الفرصة..لأبكي وأولول كما لم أفعلها من قبل، أعلم أن الكل يراقبني، تدهشهم أسمالي، تغرقهم الضحكات من حالي..يثرثرون:

((أداته لا تصلح لهذه المهمة))؛

((النقطة التي اختارها لكي تكون مكانا للثقب خاطئا))؛

لو أنه يرتدي حذاء لكان أجمل..

لو أن على رأسه كابا لكان أقوى..

لو أن أظافره أطول..لو لو لو لو

على الرغم من كوني متيقنا من أنهم سينصرفون بعد أن تنتهي طقوس شهواتهم..

شهوة النظر..

شهوة الكلام..

شهوة الانتقاد..وشهوة الانقياد..

---

[٩٧]- ضيف فهد: (نمل الكلمات)، **مجلة الجوبة**، السعودية، العدد:٢٦، ٢٠١٠م،١٤٣١هـ، ص:٤٨.

إلا أنني أكاد أموت حنقا؛ فهذا الباب الحقير محكم بإغلاق، وقواي خارت..وهم يمارسون الغباء."[٩٨]
يتبين لنا بأن الصورة الافتراضية، في هذا المقطع السردي، تقوم على لفظة "لو" التي تدل على التمني من جهة، والشرط من جهة أخرى، لكنها تحمل في طياتها دلالات منطقية مبنية على الاشتراط والافتراض والاستلزام الاقتضائي والحواري والجزائي.

✦ الصـــورة الفضائية:

تنبني بعض القصص القصيرة السعودية على تثبيت صورة الفضاء، وتأكيدها في مخيلة المتلقي، باعتبارها صورة محورية وبؤرية داخل العمل القصصي؛ فالفضاء هو الذي يحوي الأحداث والشخصيات في الزمان والمكان. وكم من قصة مرتبطة بفضاء مكاني معين، سواء أكان ذلك الفضاء حميما كالمنزل أو العش، أم كان فضاء عدوانيا كالسجن والمعتقل والزنزانة، أم كان فضاء عتبة يحيل على الشوارع والأزقة والفضاءات الواقعة بين بين، بين الداخل والخارج، بين المنغلق والمنفتح.
وتعد الصورة الفضائية أهم صورة مهيمنة في قصة(**البئر**) للقاص السعودي **زكريا العباد:**" حين أعيتهم الحيلة لاستخراج الذين سقطوا في البئر ، أخبرني أحد إخوتك بأنهم كانوا ينوون تنظيف البئر القديمة، وإعادة تشغيلها ، فسقط فيها أحدهم، وعلق الثاني وهو يحاول إخراجه، وتوقفت محاولاتهم حين كان مصير الثالث صاحبه.
- خذوني إليهم، يمكنني إخراجهم، لقد حفرت البئر بيدي".
ربطت الحبل السميك المجدول من الليف في وسطي.ونزلت بعد أن أعطيتهم نهاية الحبل الثاني.وأمرتهم أن يسحبوه حين آمرهم.
في قاع البئر كان الهواء شبه منعدم.ولم يكن بإمكاني أن أرى شيئا، أخذت أبحث برجلي في الماء إلى أن تعثرت قدماي برأس آدمي، رفعته برجلي..وتحسست عروق عنقه، فعرفت بأنه فارق الحياة. حين عثرت على الثاني كان هو الآخر قد مات، تركته لأبحث عن الثالث..فلربما

---

[٩٨]- ناصر بن محمد العمري: (مغلق بإحكام)، **مجلة الجوبة**، السعودية، العدد: ٢٦، السنة ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، ص:٥٢-٥٣.

أدركته قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.كانت عروق عنقه لا تزال تنبض، ربطته بالحبل وأمرتهم أن يسحبوه، ويعيدوا الحبل لأرفع الرجلين.
حين أخرجوني من البئر، كان ولدك محمد وأخوه أحمد ممددين إلى جانب فوهة البئر، وكان الرجال يركبون أخاك (علي) في إحدى السيارات..ويهرعون به إلى المستشفى. وفي سيارة أخرى أركبوا ولديك، في المستشفى تأكدوا بأنهما فارقا الحياة كما أخبرتهم.
ربما كانا يحاولان إخراج لبنتك المضيئة ورميها في الظلام..فسقطا .وربما كانا يحاولان إعادة مياه البئر.لكن بعد أن فات الأوان .ذهب ولداك.وبقي علي.عيناه تشبهان عينيك.أتذكرك كلما نظرت إليهما."[٩٩]
يعد البئر متخيل هذه الصورة الفضائية. ويعني هذا أن الفضاء قد يتحول إلى صورة بلاغية سردية، حينما يكون بؤرة محورية داخل النسيج القصصي تحبيكا وتخطيبا وتخييلا .

✦الصـــورة السينارستية:

تستند الصورة السردية السينارستية إلى توظيف مقومات السيناريو السينمائي، بتحويل المقاطع السردية إلى صور حركية بصرية، أو تحويلها إلى إرشادات ركحية درامية قابلة للتشخيص المرئي، أو قابلة لتحويلها إلى لقطات سينمائية متحركة، كما يظهر ذلك واضحا في قصة(**حفلة تنكر**) للقاصة السعودية **شمس علي:**" فتح عينيه ..بادره صوت ناعم بالقول:" الحمد لله على سلامتك"
أجال النظر في أرجاء الغرفة ، البياض يحيطه من كل مكان..الجدران..الستائر..الأبواب..السرير..الأغطية..هل أنا في حلم؟
بدت مستغرقة في قراءة تقريره الطبي عندما تأملها مليا، ومن ثم، رفع صوته، عفوا.. لو سمحت..هل لي بطلب؟ أدارت رأسها نحوه، وبحركة

---

[٩٩]- زكريا العباد: (البئر)،**مجلة الجوبة**، السعودية، العدد:٢٩، السنة ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، ص:٧٢.

لاتخلو من رشاقة، أسرعت بدس ميزان الحرارة تحت لسانه متمتمة :" دعني أقيس حرارتك أولا، ومن ثم أحضر لك ما تريد."[١٠٠]
من يتأمل هذه الصور السردية داخل هذا المقطع القصصي، فيلاحظ بأنها قد صيغت برؤية بصرية مرئية، من خلال تتابع الأفعال في شكل صور حركية ديناميكية ، تبين الإطار العام أو الجو الذي ستجري فيه أحداث القصة .ومن هنا، فصور المقطع يغلب عليها الطابع السينارستي الأقرب إلى السينما والدراما، من اقترابها إلى الأدب ذي الطابع اللغوي و الوصفي والتجريدي.

◇ تقويـــم وتوجيـــه:

توظف القصة القصيرة، في المملكة العربية السعودية، مجموعة من الصور البلاغية السردية على غرار القصص العربية الأخرى ، بيد أن أهم الصور الموظفة تلك الصور التي تعتمد عليها بلاغة الشعر، مثل: صورة التشبيه، وصورة الاستعارة، وصورة الكناية، وصورة المجاز المرسل، وصورة الرمز، والصورة الميثية. وينضاف إلى ذلك الصورة الوصفية، والصورة الفضائية، وصورة الشخصية، والصورة الحدثية...لكنها في حاجة ماسة إلى تشغيل صور سردية أخرى للاهتمام بها بطريقة من الطرائق، كالصورة الميتاسردية، وصورة التضمين، والصورة الأيقون، والصورة السيميائية، والصورة الفانطاستيكية، والصورة الحلمية، والصورة البصرية...ويعني هذا أن القصة القصيرة السعودية مازالت في عمومها قصة كلاسيكية تقليدية تحبيكا وتخطيبا ورؤية، وهي في حاجة إلى تحديث صورها السردية وأنماطها التعبيرية، وتنويع سجلاتها الكلامية، وتجريب قوالب أخرى، إما ذات طابع تأصيلي تراثي، وإما ذات طابع غربي حداثي. ولن يتم ذلك – فعلا- إلا بالاطلاع على الموروث البلاغي العربي من جهة، والانفتاح على البلاغة الغربية الجديدة من جهة أخرى. ويلاحظ كذلك أن كثيرا من القصص النسائية

---

[١٠٠]- شمس علي: (حفلة تنكر..)، **مجلة الجوبة**، السعودية، العدد:٢٩، السنة ٢٠١٠م/١٤٣١هـ، ص:٧٥.

ليست قصصا سردية بالمفهوم الحقيقي للقصة؛ لأنها تسقط في الإنشائية، والذاتية الانفعالية، والانسياب الشاعري، والاقتراب من أدب الخواطر من ناحية، أو من أدب الرسائل من ناحية أخرى. ومن ثم، تهيمن على هذه الكتابات ما يسمى بصورة التذويت القائمة على الانفعال الوجداني، واستبطان الذات والكيان الداخلي.
وعليه، أدعو كتاب القصة السعوديين - ذكورا وإناثا- إلى استخدام صور سردية أكثر حداثة وتجريبا وعمقا، بتنويع الأشكال والسجلات والقوالب الفنية والجمالية ، مع استلهام صور السرد العربي القديم من جهة، واسترفاد صور البلاغة الغربية الجديدة من جهة ثانية، وتمثل آراء نظرية ميخائيل باختين البوليفونية في مجال تشكيل الصور السردية لغة وأسلوبا من جهة ثالثة.

وخلاصة القول، تلكم-إذاً- نظرة مختصرة حول مفهوم الصورة السردية بكل أبعادها البلاغية، وملامحها القصصية، ومقاصدها التداولية، مقارنة بالصورة الشعرية مشابهة ومجاورة ورؤيا. وتلكم كذلك نظرة مقتضبة حول أهم أشكال بلاغة الصورة السردية في القصة القصيرة في المملكة العربية السعودية تحبيكا وتخطيبا وتشكيلا. ومن ثم، تتأرجح الصور السردية في القصة القصيرة السعودية، على مستوى التوظيف والاستثمار والإبداع، بين ثبات الأشكال التصويرية من جهة، والبحث عن المستجد من الصور البلاغية تجريبا وتحديثا وتجديدا من جهة أخرى، وبالضبط من خلال الانفتاح على مستجدات النقد العربي الحديث والمعاصر تارة، والاستفادة من الموروث السردي العربي القديم تارة أخرى.
وعلى العموم، ماتزال القصة السعودية القصيرة في حاجة ماسة، على مستوى بلاغة الصورة السردية، إلى التطوير والتجريب والتنويع والتحديث، إن حكيا، وإن خطابا، وإن خيالا، وإن رؤية.